

الهوية فى سينما يوسف شاهين بين الوافد و الموروث " شاهين ورحلة البحث عن الانا القوية المطلقة "



بقلم : أحمد حمدى حسن حافظ

عضو الجمعية الفلسفية المصرية

" رغم ان الانات تتعدد من الخارج وتتمايز عن بعضها البعض فى فريدة نادرة مذهلة ، ومع ذلك فهى تنشظى من الداخل معصرة قطرات الالم النادر والرهب ، الا ان الانا عندما تكتسب صفة "عمل فنى " - والكلام هنا لكانط عبر حديثه فى " نقد ملكة الحكم " عن عمومية العمل الفنى (والننى تعنى قدرة المتلقى باعتبارها يمتلك ماهية انسانية على التفاعل بل والتماهى والتوحد مع العمل الجمالى) - فانها تعرض لنا بكونها اصبحت ممارسة فنية ما ، تتعامل مع الوحدة الجمالية القائمة خلف هذا التعدد الخارجى اولا ، والفرادة النادرة التى تذكرنا بفرادة نواتنا ثانيا ، وذلك التنشظى الداخلى فى قلب هوية انانا ثالثا ، أى تتعامل كأنا فنية مطلقة وخالدة مع ماهية الانا الاولى وهويتها بالمعنى الارسطى لقانون الهوية و التى تشترك فيها جميع الذوات الانسانية "

ان بحث شاهين عن اناه المطلقة من خلال فنه جعله يتعامل مع الهوية الانسانية الاصلية مكتشفا لتجلياتها المتعددة فى اشخاص واقعية او اشخاص رمزية او اشخاص متشظية اشكالية ، "بى اور نوت توبى " هكذا وبالعبوية كتبها يحي او شاهين عسى صبورة احد الفصول فى مدرسة فيكتوريا كولديج

(من فيلم اسكندرية ليه) والعبارة الشكسبيرية من مسرحية هاملت ، هاملت او شاهين يبحث فى هذه العبارة عن أصل ومعنى الكينونة محملا بهاجس وجودى حول كون الكينونة اختيار يحسم التشظى اللامحدود للانا ويتحدد من مقابلته باللاكون او العدم المتمثل فى الموت او استعارة الخلود من خلال الدلالة والرمزية فى عالم الثقافة (الخلود الثقافى كأحد انواع الخلود التى تحدث عنها ارسطو لها حضورها الشديد على ذهن شاهين) ، ان النقل الوجودى لهذا السؤال الشكسبيرى والذى يجعل الانسان لا ينام قلعا من كثرة التفكير فيه هو الذى خلق الفنان لدى شاهين خلق البحث عن الماهية الانسانية العامة والهوية الوجودية للانا انه بحث عن الوجود والحضور الانسانى ككون وماهية وهوية أصلية للجنس البشرى وفوق ذلك كله اختيار .

ان شاهين يبحث عن هوية انسانية عبر ممارسة فنية معرفية اساسا تتسم بالعالمية وان اغرقت فى طين الارض وعمق المحلية المفرطة فشاهين يختار عناوين غاية فى التعبير عن المحلية والخصوصية والهوية المصرية بل والسكندرية لأعماله " اسكندرية ليه " "اسكندرية كمان وكمان " " اسكندرية نيورك " " حدوته مصرية " كلها تثبت من " الارض " . وهو رغم ذلك وفى فيلم حدوته مصرية يقول على لسان المبدع الحساس محمد منير " بمد ايدى لك طب ليه متقبلنيس لا يهمنى اسمك مكانك زمانك يهمنى الانسان ولو ملوش عنوان " رغم ان الحدوته مصرية .

شاهين هو احد القلائل من السينمائيين فى العالم الذى ارتادوا هذا المجال الخاص للفن مجال فن السيرة الذاتية او فن البحث عن الانا المطلق من خلال الانا الانسانى المحدود . " ازاي تكون انت وتكون عيون غيرك ، وتشوف ضلام نفسك تلمح امل غيرك ، ازاي تكون البحر،وتكون شطوط غيرك،ازاي تكون غيرك عيون غيرك امل غيرك" ولم تكن الاداة التى استخدمها فى هذا المجال الفلسفى الاصل السقراطى المنشأ "اعرف نفسك " للفن أداة قديمة بل اداة

مستحدثة كان شاهين اصلا من الرواد الاساسيين الذين استخدموا هذه الاداة وهى السينما والسينما هى تطوير لكل مجموعة الفنون الرفيعة فهى فن مركب وغنى بكل انواع الفنون القديمة التى عرفتها الانسانية. من تشكيل وموسيقى وادب... الخ .

ان محور الانانية او الذاتية الذى يلعب عليه شاهين والتى ينتقده عليها اليساريين من النقاد نو الهاجس الاجتماعى الاشتراكى هى ذاتية الابولونوس على حد تعبير عالم التحليل النفسى حسين عبد القادر ؛ " ذاتية لا تكف عن المجاهدة الدعويه استبصارا بقاعها اللاشعورى وديناميات مكوناتها وعوائقها غير مغفلة حدس اللحظة والنهوض لمواجهة المكبوت مدركة شجاعة ان تكون فى جدل دائم للمعرفة من اجل اقامة الجديد فى رحم القديم " وهى تختلف عن ذاتية الاديماجوس " ذاتية الاصفاذ والدفعات والمركبات النفسية كنتيجة حتمية لكبوتاتها تركز للمألوف والسائد والموائمة والاستسلام " ان ذاتية شاهين تقف عكس الانانية الاخلاقية فهى صادقة مع نفسها لاقصى ما يكون الصدق ذاتية شجاعة لا تخاف من كبوتاتها او اعلان رغباتها ذاتية تعترف بهوية انسانية لا ملائكية مفارقة ولاحيوانية بهمية ، انها ذاتية انا صادقة تبحث عن كينونتها .¹

ذاتية " تتفاعل مع ديناميات التنشئة ومن ثم التاريخ التطورى للفرد (الذى يجعله شاهين كائنا ذا تاريخ) ليصبح من ثم مبدعا قادرا على التأريخ واى تأريخ تأريخ يمسه به بتاريخه الذاتى ليستطيع التخطى فى ايجابية خلاقه تصل به الى مصاف الموضوعية ليقتررب من الحقيقة فى شجاعة ، والالتزام بما هى حقيقة لا سبيل لبلوغها الا بالكد والمعاناة والمجاهدة مع الداخل باعتباره المخفى البعيد الغور من مخلفات التنشئة وعوائقها وفى الخارج مجاهدة مع حركة المجتمع بكل تفاعلاتها المعقدة " ان " الفنان الحق والمدرّب تلقائيا على الغوص فى المتخيل من حيث قدرته على الانتقال من الداخل الى الخارج او التموضع باعتباره تحويلا للذاتية الى الموضوعية من خلال الثقافة والحضارة

عبر الانتاج الفنى " هو الدور الذى لعبه يوسف شاهين ذلك ان الرغبة لا يمكن ان تمضى بغير تخييل ، وبالمثل فإن القدرة على التخيل لدى الانسان هى التى نتيج له إلى حد جد بعيد هذا المدى الفسيح لمقاصد رغبته حيث القصدية وعى مرتبط بدوافع تعكس ديناميات الصراع المتصل بالتنشئة فى ظل واقع بعينه ان كل ملاحظة نسميها موضوعية تبني عبر الذاتية هذا ما يميز شاهين درجة الامساك بالذاتية واثراء الوعى واعادة تكوينه المستمر .ⁱⁱ

الهوية فى الاساس مفهوم منطقى فلسفى . ولكنه يعامل الان على كونه من اهم مفاهيم السياسة المعاصرة بل ويستهلك بطريقة مجانية فى الخطابات ذو الصبغة القومية او حتى الشيوعية وهو من اكثر المفاهيم اشكالية فالهوية لدى ارسطو هى اولى قوانين المنطق حيث الشئ هو نفسه أ هى أ ويقع خلف هذا المنطق الذى وقف لمدة عشرون قرن كحجر عثرة امام تقدم العلوم والفنون والاداب فلسفة جوهرها التتابع والثبات الذى هو محض خصوصية ادراكية للانسان تتعلق بالتمثل كوسيلة لتكيف الجهاز العصبى للانسان مع العالم ، وهو بالضرورة معنى مغاير للهوية فى المنطق الجدلى عند هيجل الذى يعنى التغير والضرورة والغائية التى يسعى اليها الكائن واللذان يختلفان بدورهما عما نجده فى فلسفة العصر المتأثرة بالتيار ما بعد العلماوى فلسفة ما بعد الحداثة كتفكيكية دريدا التى ترى الهوية فى التغيير والاختلاف فهى تسعى لتفسخ الهوية او على الاقل نفسح فيها مكانا للاخر .(باعتبارها مصطلح سياسى)

والهوية قائمة على عنصرى التميز والتشابه فهى تبرز لدى الفلاسفة كفعل تصنيف بصرف النظر عن كونه تصنيف هيراركى عنصرى او تصنيف اقصائى او تصنيف صناعى .

" هناك تصورات متعددة للهوية والسائد ان الهوية تعنى صفات وسمات عامة ثابتة مسبقة لجماعة من الجماعات او شعب من الشعوب تتميز عن هوية غيرهم من البشر وتحدد السمات العامة طبيعة هذه الهوية فاذا غلب عليها السمات

الاثنية كانت هوية عرقية : عربية او المانية او سكسونية او افريقية فتصبح هوية قومية وان كان الغالب عليها السمات الدينية كانت هوية اسلامية او مسيحية او يهودية . وهذه السمات هي الاصول الاولى للجماعة فهي ترتبط بالماضى وهى التى تتحكم فى الحاضر والمستقبل مما يعنى ارتباط الهوية بالاصولية .

وإذا كان مفهوم الهوية يرتبط بالذاتية والثبات والماضى فان هناك علاقة قوية تربطه بالزمان ويمكننا تقديم تصورا مغايرا للهوية يجعلها مفتوحة لا مغلقة ، متعددة لا احادية ، متطلعة للمستقبل وليس مشدوده للماضى ، هوية لا تقر خلفنا بل هى نموذجاً ومثالا نسعى الى تحقيقه . ومن هنا كثر الحديث عن التعدد والاختلاف الذى يمثل جوهر الهوية عند كثير من المفكرين المعاصرون الإوربيون والعرب .

يمكننا اذن الحديث عن تصور جديد للهوية هوية نحددها لانفسنا بانفسنا ، ليست هوية ورثناها عن السابقين سواء اكانت عرقية قومية أو دينية فالواقع العربى بتعدد اقطاره ودياناته وطوائفه وعرقياته ملئ بثقافات متعددة متغيرة تثرية وتخصبه . الا ان نيران تتأجج داخلنا مع عداء تاريخى للغرب يتزايد ليس فقط بفعل الدعاوى التى تثار بين الحين والحين عن الصراع بين الاديان والنزاع بين الحضارات بل بسبب الصدام فى المصالح الذى يحدد فى الاساس السياسات الغربية مع كل ما هو غير غربى . لقد تعمدت وصف " ما هو غير غربى " ليضم ليس فقط العرب والمسلمون والافارقة لكن غيرهم من امم واوطان تحيا فى نفس الظروف .

الهوية التى نريد ان نحدد معالمها ترتبط ليس فقط بالزمانية ، والقومية والاصولية ولكن ايضا بالتعددية والغيرية والمستقبلية والفاعلية والحدائثة . هوية الانسان اليوم الذى يبحث عن مكانه فى خريطة العالم المعاصر للاسهام فى حضارة اليوم .ⁱⁱⁱ

هناك العديد من الظواهر الاقتصادية و الاجتماعية و النفسية و الطبيعية العلمية و الفنية الادبية تحتاج الى دراسات بمنهج فلسفى وليس علمى منهج يشمل الظاهرة ويحتويها من جميع جوانبها وابعادها منهج ينظر لها واقفا على قسّماتها الجوهرية لا العارضة ، تفعيل الممارسة الفلسفية فى التنظير المباشر للواقع الحى المعاصر (لماذا لانعيد التفلسف فى انطولوجيات حاضرنّا) وأهم ما فى تلك الممارسة الفلسفية (ولى ان اعتبر انتاج شاهين ممارسة فلسفية استخدمت منهج فنى كلغة اكثر انفتاحا على الوعى المعاصر تستطيع ان تحتوى الفلسفة وتصبح احد تجلياتها وان سميت فنا) انها لا تعتبر الوافد ولا تقّس الموروث ، وهذا بالتحديد هو ما سيختلف فيه معنى الكثيرون ، الفلسفة فنا يمكن لها وببساطة ان تبدأ من الصفر ففعل التفلسف لا يحتاج اطلاقا لمرجع او توثيق او اسناد انه محض تفلسف نابع عن الوعى الشجاع للذات وربما تكمن المشكلة فى ان عدم اعتبار الوافد سيعد فى نظر البعض بطولة وفى نظر البعض الاخر تخلفا وهى ليس بطولة ولا تخلفا بل التفاتا لحاضر ما فى لحظة ما وتحليله كما هو وربما يقاطعنى البعض لمقاطعة الموروث ويقولون هذا يتضمن تجاهل المقدس اذ ان الموروث ينطوى عليه وهو بالفعل الامر الذى لا يخفىنى فهناك فرق بين تعمد الاصطدام بالمقدس كاسلوب فى حرية الفكر وبين انشاء بناءات موازية ذو حركية ابداعية بعيدا عن ساحة المقدس وهو تجاهل له وليس نكران ربما نكران لدوره فى الواقع و لكنه ليس اصطدام مباشر به هذا هو ما ارد شاهين فعله .

هناك من يقول ان الواقع مزيجا من الموروث و الوافد - هذا يقال لى :
انظروا معنى تحليل ظاهرة مثل ظاهرة الالم النفسى او الخيال او الابداع او البطالة^٤ او المرأة ايجتاج الى تقاطع مع الموروث او مع الوافد ربما يحدث فى العلم تقاطعا مع الوافد باعتبار العلم بناء تراكمى ولكن الفلسفة لا تعرف ذلك فلن تحتاج الوافد ربما تذكره فى هامش ولكنها لا تطلق سلطته على التحليل

والم منظور الذى نرى به الواقع ويترك هذا المنظور محض ابداع لذواتنا الحاضرة فى واقعنا المعاصر اما بالنسبة للموروث ربما يتم ذكر تسلطه على وعى بعض الافراد ولكن نستطيع من خارجه ان نتفلسف دون ان يتسلط علينا ، هو لا يتسلط على الواقع بالمناسبة ، الواقع تحكمة امورا اكثر تعقيدا من موروث او وافد ثقافى انه الواقع بلعبكته وتداخله وتشابكه نرى فيه كل الاشياء ونرى فيه البلى . فلماذا لا يكون الواقع والابداع فى مقابل التراث و التجديد لماذا لا يكون نحن حضارة مركزها الدش (الفضاء الابداعى والخالئى) بدلا من ان نقول (نحن حضارة مركزها النص) ان ازاحة الوافد والموروث هو الدور الذى ينبغى على جيلنا ان يلعبه مستفيدين من تجربة شاهين الفلسفية

نشعر مع شاهين دائما تعددية فباطاله من جنسيات مختلفة وديانات مختلفة وقوميات مختلفة ويعيشون مع بعض فى تسامح وحيوية مثالية .

ملاحظات أولية حول اعمال شاهين :

المرحلة الاولى : - 1950 بابا امين

تبدوا ككوميديا اجتماعية " موظف قليل الوعى بأهمية المال "

. الا ان التقنية الروائية التى استخدمت فى السيناريو كانت عبارة عن ان

" روح امين تخرج من جسده ويتحدث دون ان يسمعه او يراه احد من

الاحياء "

وهذا يذكرنا بشبح والد هاملت

وهنا نلاحظ الاتى :

ملحوظة 1 :

تعامل شاهين مع ظاهرة الموت من خلال رؤية شكسبيرية عبرت عن رغبة

اناس كثيرون فى الاتصال بالموتى ، ف" شكسبير واحد من كتاب عصر

النهضة الرئيسية الذين قاموا بدمج ثقافة متعلقة بالعصور الوسطى واخرى بعصر النهضة فقد دلل شكسبير على احياء فكرة المطهر من العصور الوسطى بجعل الشبح يعود منه " فهو يقول على لسان شبح والد هاملت " قد حكم على بان اقضى زمنا ما فى التجوال طوال الليل وان احبس كى اتلظى بالنار والصوم طوال نهارى حتى اتظهر مما ارتكبت من اثم وجرائم لا يحوها غير عذاب الحريق " وهنا نلاحظ ان دور المطهر فى العصور الوسطى والذى حاكاه شكسبير كان الاتى :

المطهر يحافظ على العلاقة بين المجتمع واستمراريته بين الحياة والموت

المطهر يقيم علاقة بين الاحياء والموتى

وربما نجد تحليلات الشبح عند شكسبير قائمة كأحد ثلاث تحليلات

■ الشبح ككابوس ينضح بما فى الماضى من احداث

■ الشبح كاضطرابات نفسية شديدة ربما يبدو الشبح عائدا من الجحيم

هدفه تحويل هاملت للجنون

■ الشبح كحدس زائف

هكذا كان الشبح مخلوق مثير للجدل^{iv}

وقد استخدم شاهين هذه التقنية الروائية فى السينما عدد معنى من المرات

فضلا عن تناوله للموت فى شكل حاضر جدا ونعتقد ان ذلك من تأثير هاملت

عليه

فيلم 11 سبتمبر : السرد السينمائى يتم من خلال اشباح الموتى سواء موتى

11 سبتمبر او الشهداء الفلسطينيين هل كان شاهين يعتقد فى تواصل ما بين

الاحياء والاموات اقرأ فانتازيا من وحى يوسف شاهين سامية الساعاتى 132 -

140 ادب ونقد العدد 287 يوليو 2009

فيلم سيدة القطار : ادعاء الموت من اجل بوليصة التأمين وهنا نلاحظ ربط الموت بالمال الذى يرى النقاد انه شكل مشكلة اساسية فى عقد افلام شاهين . فهنا ينبغى ان نشير لحضور الموت عند شاهين تأثرا بشبح هاملت .

جميلة الجزائرية : اعدام جميلة هو بداية لتحرير الجزائر وهنا نرى فكرة الخلود الثقافى واضحة جدا عند شاهين .

الاختيار : شخصية محمود لا تموت رغم موته اساسا وتبدو من خلال تجسيد سيد لشبح محمود .

اسكندرية ليه : وفاة فردى اخو يوسف فى سن صغيرة .

حدوته مصرية : السرد السينمائى يتم من خلال شخص يصارع الموت فى غرفة العمليات

الاخر : وفاة ادم وحنان بفعل المجتمع هو وفاة رميو وجوليت لتخليد الحب

اسكندرية نيورك الخلود من خلال الابن

ملحوظة 2:

امانة الاب على اسرته

هذه الفكرة ستتبنى بالتزام شاهين الاشتراكى .

ملحوظة 3:

الحركة المسرحية للممثلين والكاميرا حركة سريعة حرة لا تهدأ هذا نابع من دراسة شاهين للمسرح والميزانسية المسرحى فى امريكا وهى سمة ستبدو عند شاهين وسيستعرضها فى سكوت حنصور حيث سيستخدم تقنية الحركة سحرية ماجيك وهو يعد -سكوت حنصور - قمة نضوج البعد الحركى فى افلام يوسف شاهين .

ملحوظة 4 :

الابطال يظهرون فى عكس الاكلاشيئات المعطاة لهم فى الافلام السابقة
فكمال الشناوى فتى خجول متلعثم و فانت حمامة تغنى وترقص وسنلاحظ هذا
فى كل اعمال شاهين فالممثل عند شاهين يمثل بطريقة شاهينية خاصة اى كان
اسلوبه. فى التمثيل يأخذ معنى جديد لا علاقة له بكل ادواره السابقة مع
مخرجين اخرين وذلك يجعل النقاد يقولون عن سينما شاهين سينما المخرج .

ملحوظة 5 :

الميل للاستعراض الراقص اشكى لمين - عايز كام حسب التسعيرة وهو ما
سيصاحب شاهين فى كل اعماله فهو يحب الرقص ويتذوق الموسيقى لاقصى
حدود ذلك .

1951 ابن النيل

مقتبس من المسرحية الامريكية ريفير بوى
يناقش الفيلم حلم السفر للقاهرة ويقول عنه شاهين
" ابن النيل نبع من تدمرى على الاحلام البرجوازية لعائلتى "

ملحوظة 6 :

نلاحظ فى هذا الفيلم حالة هوية واضحة
حيث يعود حميدة لقريته ويكتشف حبه لوطنه الحقيقى زبيدة
وهنا تظهر فكرة ما عن الهوية الاموية :

فالوطن ليس بلد المنشأ بل حضن الأم الذى تنماهى فيه ذاتى وكينونتى وانأى
لتصبح امتداد لجسد اكبر يرعى ويدعم ويرضع ويدفى ، والاب هو مساحة
الانفصال والغربة لتوريطى فى العالم ودسى فيه وادراك ذاتى كانا مستقلة ،

الاب هو الذى نريد قتله لانه يورطنا فى انا مختلفه عن ذات الام ، كل الاوطان مؤنثة وكل انا منكرة .

والام هى الحبيبة هى زبيدة .

ملحوظة 7 :

النزوع التسجيلى للاحداث الهامة لدى شاهين وكانت فى هذا الفيلم هى الفيضان

1952 المهرج الكبير

رجل غنى من يوم وليلة سنلاحظ الحركة والحيوية وان السينما صورة قبل اى شئ وستمتد ملاحظتنا عن الاستعراض الى كونه موظف ويعد الفيلم سخريه بشكل لاذع من الطبقة البرجوازية

ملحوظة 8 :

الرجل فى افلام شاهين ضعيف متردد ساذج وطيب نوعا ما
السلطة فى فيلم الارض كانت للزوجة وفى عودة الابن الضال ايضا
السيدة متسلطة وصاحبة الكلمة الاولى والاخيرة

1952 سيدة القطار

1953 نساء بلا رجال

قضية الرجعية

1954 صراع فى الوادى

الفلاح والاقطاع

ملحوظة 9 :

الاهتمام بالعلم

العلم يزرع نوع من القصب ينافس قصب الباشا

نفس الهاجس فى عودة الابن الضال .

1954 شيطان الصحراء

الفيلم قام شاهين بعمل مونتاجه ويقول عنه انه فيلم لنيازى مصطفى ونجد فيه سلطة حاكم فاسد ومحاولة الانقلاب عليه .

1956 صراع فى الميناء

عمال الشحن فى ميناء الاسكندرية

1956 ودعت حبك

1957 انت حبيبى

ظل شاهين مكسوف من هذين الفلمين 30 سنة

ويقول عن سيناريو فيلم انت حبيبى واحد عايزين يجوزوه بيجرى ويقول مش عاوز اتجوز هكذا كان السيناريو

الا ان اغنية ذلك الفيلم بين شادية وفريد الاطرش ظلت من الاغاني الدرامية المبتكرة التى تشابه عصر الاغنية الكليب نو الاثر الكوميدى

المرحلة الثانية لشاهين

1958 باب الحديد

شاهين ممثلا : شكل حلم التمثيل لدى شاهين اهم احلام حياته (ماريان خورى فى احد اعمالها التى تتناول سيرة شاهين اسمت العمل شاهين هاملت المصرى) وتناولت حلم شاهين بالتمثيل عندما راى احد الفنانين العالمين يؤدى هاملت على احد المسارح المصرية واعتقد انه سيرث هذا الفنان ويكون يوما ما من اعظم من ادى شخصية هاملت فى العالم الا انه كان قناوى الاعرج وقاتل هنومة كل

منا اعرج بطريقته هكذا يعتقد شاهين ان كل منا فى اعماقه قناوى ، لقد كان شاهين بهذا الفيلم من رواد السيكودراما الحقيقية اذ كان البعض يعتقد ان المجانين فى نعيم سيكودراما ، وهو تيار سيتأثر به شاهين كثيرا اذ ان البطل عند شاهين غالبا شخص متردد بين العقل والجنون تتنابه حالات من الوعى يتكشف فيها على ما هو اعلى من الادراك الانسانى المحدود والعام فهناك دائما اشياء بين السماء والارض يعجز العقل وحدة على ان يفهما ان شاهين تعامل مع المجنون فى انسانية مفرطة لعل دور قناوى فى الباب الحديد يشكل الصدمة المصرية الموازية لما احدهه كتاب تاريخ الجنون فى العصر الكلاسيكى لميشيل فوكو وهذا ان كنا لا نبالغ .

مسرحية مصورة : باب الحديد فيلم يحتفى بمكان واحد يمثل نقطة عبور بين الهويات بين الريف والحضر بين القرية والمدينة بكل تعقيداتها ومركباتها ، وهو يتناول زمان محدود ولا عجب فى اعتبار الفيلم مسرحية مصورة وخاصة ان وعى شاهين المسرحى كان اكايميا بعكس وعيه السينمائى الذى كان موهبة .

جوع قناوى للاحتياجات الجنسية والعاطفية هو جوع مشروع فاذا تذكرنا الجوع العاطفى والجنسى تذكرنا جنون قناوى حتى بعد مرور اكثر من نصف قرن على الفيلم فنرى الان هيفاء وهبى تتمنى ان تكون هنومة القرن الواحد والعشرون .

1958 جميلة الجزائرية

اعدام جميلة هو بداية لتحرير الجزائر

ملحوظة يشكل هذا الفيلم علامة فارقة فى الوعى الفرانكفونى لشاهين وارهاص بالالتزام السياسى المبكر فهو ليس اغراقا فرانكفونيا فلهجة الفيلم كانت مصرية وليست حتى جزائرية وليس شاهين المبدع الوحيد الذى تأثر بجميلة فصلاح جاهين تأثر ايضا بل كل من كان فى هذا الجيل تأثر بجميلة

1959 حب الى الابد

1960 بين ايديك

1960 انداء العشاق

1961 رجل فى حياتى

1963 الناصر صلاح الدين

1965 بيع الخواتم

1965 فجر يوم جديد

1966 رمال من ذهب

1967 عيد الميرون

1970 الارض

المرحلة الثالثة والهامة :

اهل نجاح فيلم الارض لشاهين ان يكون مسئولاً تماماً عن افلامه ابتداءً من الاختيار ولذلك يطالبنا شاهين باعتبار افلامه نقدياً من اول الاختيار يعلن شاهين بصدد فيلم الاختيار ما هو اتى " مسئوليته الكاملة على الفيلم لاول مرة ، بينما كنت فيما قبل مسئولاً عن افلامى بنسبة كبيرة ..لقد اضطررت فى بعض الاحيان الى تقديم اعمال ما كان يجب ان اقدمها

1971 الاختيار عن فكرة لنجيب محفوظ

سيد ام محمود من منا لم يمر بأزمة اضطراب الهوية الشخصية (ازمة اضطراب الهوية الشخصية مرض نفسى ومعظم الامراض النفسية تظهر بصورة مخففة عبر احد مراحل النمو للشخص السوى) هوية سيد هى هوية الانسان الناجح فى حياته باعتراف التقاليد الثبوتية والقوانين الوضعية والاعراف

الانسانية هي الاستاذ المحترم : سيد

اما هوية محمود هي هوية الانسان المتصالح مع رغباته الشخصية وانفعالاته المتغيرة الصادق والصريح لاقصى حد مع نفسه ومع الناس يلبس بحرية يتصرف ويعيش بحرية لايهتّم كثيرا بالتقاليد والاعراف والقوانين هو اما فاشل او في نظر الناس فاشل وتافه و منفلت هو حوده من غير استاذ ومن غير محترم

من قتل من ؟ كل اصابع الاتهام تشير الى ان القاتل هو محمود حقدا على نجاح الاستاذ سيد ورغبة في زوجته لكن القاتل الحقيقي هو سيد لانه ادرك ان الانسان في نهاية الطريق لن يقابل الا نفسه فقط فلماذا لا يتصالح معها هو الاكثر حقدا على محمود

صراع هووي يمر به كل انسان والفيلم دعوة لان يعيش كل انسان نفسه متصالحا معها مخلصا لرغباتها ونزواتها وهو اجسها .

فيلم يناقش ازمة الهوية الاخلاقية بردها لاختيار الفرد لا لاختيار المجتمع والقانون والوضعية

فيلم جري جدا .

1972 سلوى

1972 الناس والنيل

1973 انطلاق

1974 العصفور (بهية بتقول هنجارب)

ها هو في فيلم العصفور يستنهض المصريين شعبا وحكومة لحرب استرداد الكرامة المصرية وتحرير سينما

1976 عودة الابن الضال

محمود المليجى او الجد الحشاش من انكسار الذات ، على او الاب الهارب الى حيث تحقيق الذات ، ابراهيم او الحفيد الذى يريد الهروب الى حيث التحقيق الفائق للذات ، يتقاتلون على السلطة والمال ، ذاتى وتحقيقها ام وطنى وحبىبى وارضى حتى فى ظل السلطة الغاشمة الظالمة وسطوة النظم الفاشلة ابهما اقرب للهوية ، احمد زويل فاروق الباز شاهين ذاته اكثر وطنية ام نجيب سرور صلاح جاهين نجيب محفوظ .

اكثرهم وطنية فى وجهة نظرى مجاهد محسن عبد اللطيف الذى مات فى حضن زوجته بعد يوم شاق قضاءه فى محاولة انقاذ عربية البولة من مطاردة البلدية

ملحوظة مجاهد لديه ورقه جميلة يحتفظ بها ويطالب بدفنها معه هى شهادة دكتوراه

يقول جلال امين ان الطبقة الوسطى المهتمة بالتعليم والتى تريد التنمية ولا تمتلك السلطة لتحقيقها لم تتأكل بل تحولت الى المشاريع الصغيرة والاستثمار الخاص وهذا ينبى بالامل

ملحوظة شاهين فى القاهرة منورة باهلها يتراجع تماما عن الحلم الذى شكله حلم الهجرة لتحقيق الذات ، هو شاهين عرف يهاجر اصلا .فيلم ذا شجون !

1979 اسكندرية ليه سيرة ذاتية رؤية موضوعية تمر خلال الذاتية للتاريخ المصرى

الاب اسمه شكرى

وعاوزنى اكسبها

اليهود فى مصر متجانسين

1982 حدوته مصرية سيرة ذاتية

الاب اسمه قدرى يجوز اخت شاهين

الذات تسعى للتخارج والتموضع فى العالم الموضوعى

عن سيرة يوسف ادريس

1985 الوداع بونابرت

هل افلام شاهين تكرس عدم الانتماء ؟ درس فى فيكتوريا كوليدج على يد
اجانب تعلم من الامريكان والايطالين

بحكم نشأته مهياً للتبعية اى فى حالة نفسية واجتماعية وليدة الشعور بان ثمة
هوة كبرى تفصل المصيريين عن المتقدميين فى العالم (مصطفى درويش
:الصقور والحمائم فى حملة بونابرت ، مجلة الفنون ، العدد 26 ، القاهرة ، سبتمبر
1985 .)

1986 اليوم السادس

1990 اسكندرية كمان وكمان سيرة ذاتية كلهم لازم يكونوا فى الصورة
مناقشة ازمة السينما

القاهرة منورة باهلها

1994 المهاجر سيرة ذاتية من منظور ضارب فى عمق التاريخ

1997 المصير رد فعل للهجوم على المهاجر

1998 كلها خطوة

1999 الاخر روميو وجولييت المجتمع حيث الانا والاخر دائما يقتلون الحب

2001 سكوت حنصور اكتشاف روى السينما كحالة جمالية سحرية

2004 اسكندرية نيويورك جنر والابن اسكندر عيب صوته يعلى على صوت

ابوه

2008 هي فوضى

شذرات كونت وعيي شاهين

شذرة 1 الاكتشاف

الزمان : صباح احد ايام شتاء 1997

الخبر : حصول المخرج العالمى المصرى يوسف شاهين على جائزة اليوبيل الذهبى من مهرجان كان السينمائى عن مجمل اعماله (برنامج صباح الخير يا مصر)

المستمع : طالب بالفرقة الاولى بكلية العلوم (18 سنة)

الشعور : مرة ثانية يتكرر نفس الشعور عندما فاز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للاداب عام 1988

نفس الفخر نفس الاحساس بالمسئولية تجاه الوطن فى تشريفه

والشذرة هذه تطرح سؤالا هاما؟! لماذا لا يكتشف المصرى فى بلاده ويكرم قبل ان يكتشفه العالم ويكرمه؟!

ولماذا يظل احساسنا بالفخر مرتبط بمواطنينا الذين حققوا فوزا ما فى محافل دولية ليس المحفل المصرى بقادر على تحقيق هذا الفخر ام ان هناك ازمة ثقة دائمة فى الهوية؟!

لماذا يختار المبدع طريقا من اثنين اما المادة و المال عبر تحقيق الجماهيرية والتنازل عن كل ما هو مخلص لابداعه او الدخول فى "لعبة الجوائز والمهرجانات " (الاسم لروجيه جارودى) كمباريات للاخلاص بصرف النظر عن الجماهيرية؟!

شذرة 2 الصبر

وسط تصفيق حاد يخرج يوسف شاهين لاستلام جائزته فيوجه كلمة للشباب " لقد عملت 46 عاما فى ظل عصور سادها الفوضى والاضطراب والفساد حتى اصل لهذا ونصح الشباب بالصبر " استمر التصفيق والقيام لمدة طويلة نسبيا

46 عام يا صبر ايوب !

شذرة 3 ازمة السينما

الزمان صيف 1998

" اسماعيلية رايح جاى " يحقق اعلى ايراد لفيلم فى السينما المصرية ويؤن بانتهاء أزمة السينما وظهور ظاهرة السينما الشبابية وهو نفس الموسم الذى كان يعرض فيه فى السينمات فيلم المصير ليوسف شاهين

كانت أغنية فيلم المصير تقول : على صوتك بالغنى لسه الاغانى ممكنة
ولسه ياما ياما يا عمرنا ولا انكسار ولا انهزام ولا حلم نابت فى الخلا

اما اغنية فيلم اسماعيلية رايح جاى لعنتر هلال : كاتش كادر فين قالولو
كمننا حب نادية وحب لولو كمننا نفسك فى ايه كمننا تحلم بايه كمننا سمعنا ايه
كمننا

وكان تعليقا هاما فى مقال نقدى لناقد مشهور لا اذكر اسمه يقارن بين
الاغنيين ويجعل اغنية المصير لا تعبر عن الروح الشعبية المصرية الحقّة وانما
تبدوا كترجمة لاغنية اجنبية اما الاغنية التى عبرت عن تلك الروح فهى اغنية
اسماعيلية رايح جاى .

وقد كان الناس فى زماننا ومازالوا من شاهين فريقين فريق يبالغ فى التمجيد
واخر- يبالغ فى الانتقاد

شذرة 4 الحكمة

فى قضية هزت الرأى العام وقف شاهين كمتهم فى قضية امام المحكمة المصرية من النوع المنتشر لمعاداة الابداع والذى يسمى " حسبة " تقول بانه قام بعرض قصة سيدنا يوسف سينمائيا وهذا لا يجوز وهذا من خلال فيلمه المهاجر وما يتتبع ذلك من انكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة

لعل البعض يرجع جائزة كان لهذا الموقف او يرجع هذا الموقف لجائزة كان ايهما اكثر تأمرا !؟

شذرة 5 عيد الميلاد

" كل عام والسينما بخير

الى فنان لم ينفصم عن فنه فتوحدنا معه

ابنك احمد حمدى "

كارت صغير للمعايدة ملئ بصور لورود حمراء تتناسب مع وعى مراقى قراء عن احتفالية لاستقبال يوسف شاهين بالمجلس الاعلى للثقافة والاحتفال بعيد ميلاده وكان مع الكارت وردة حمراء صغيرة

تعب الاستاذ وتعرض لازمة صحية فبعد 10 دقائق من الاحتفال غادر القاعة لتواجهنى مشكلة اين اضع الوردة الحمراء ولم اجد نفسى الا مهديا اياها للنيل ليهدى بها كل المخلصين فى العالم عبر سريان ميااه

الغريبة ان هذه الدراسة لن تضيف كثيرا عن ما ورد فى الكارت

ففنان لم ينفصم عن فنه هو فنان للسيرة الذاتية وهو اكثر انواع الفن ندره فى عالمنا العربى لارتباطه بممارسة البوح فى ظل قهرا واستبدادا حول البوح لاستباحه

ببساطة السيرة الذاتية هى فن الصراحة والتصريح مع النفس فن انسانى للغاية لا يطالب من الانسان ان يبدوا ملاكا او حيوانا مجرد انسان له احلام

جميلة وعثرات خبيثه

وعندما يقدم فن السيرة الذاتية باكثر اليات الفنون تطورا وفضحا للحقائق
وهى السينما اى بالصورة والصوت فلا شك ان هذه اجراً انواع السير الذاتية
التي عرفها العالم

وهناك مقولة شائعة بان تجارب الانسان فى العالم غاية فى التقارب
لذا فان اى سيرة ذاتية مخلصه نتوحد معها بسهولة حيث تكون بمثابة مرآة
عاكسة لذواتنا فى انقى لحظات المكاشفه
ولا سيما فى لحظة البحث عن الهوية
تلك اللحظة التى اרכת السيرة الذاتية لشاهين كما سيبدوا من ورقتنا هذه .

شذرة 6 انتحار هامبير بلزان

فى مركز التعاون المصرى الفرنسى كان الحضور ليوسف شاهين وعدد من
النجوم لتأبين المنتج الفرنسى هامبير بلزان الذى انتحر شنقاً فى مكتبة عامة
وتكلم شاهين 5 دقائق بالفرنسية و لم افهم منه ولا كلمة ! هل هذا الرجل
مصرى !

شذرة 7 :

الاحد 28 يوليو 2008

بعد غيبوبة استمرت قرابة ثلاث اسابيع من يوم 16 يونيو 2008 مات
المواطن المصرى الفرنسى ذو الاصول اللبنانية يوسف جبرائيل شاهين المولود
فى الاسكندرية 25 يناير 1926 وعقبت ا ف ف لكن الحكم المرتقب جدا فى
قضية غرق عبارة العام 2006 طغى على نبأ وفاة المخرج الكبير (سيكون
لهذا التعقيب تأمل حوله فى الشذرة القادمة)

وفي باريس وجه الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي تحية تقدير الى يوسف شاهين واصفا اياه بأنه "مدافع كبير عن حرية التعبير وبشكل اوسع عن الحريات الفردية والجماعية". كما انه منح مرتبة ضابط في لجنة الشرف من قبل فرنسا في 2006.

ياله من فرنسى !

شذرة 8 : يوسف شاهين وخالد يوسف

ينتمى خالد يوسف الى مجموعة من السينمائيين يسميهم احمد المسلماني اليسار السينمائي الذي يرى ان هدف الفن السينمائي هو رصد الواقع بكل قبحه من اجل تثوير الجماهير وتحقيق المطالب الاشتراكية ، وهذا اقرب لسينما المنشور السياسى او السينما الحزبية ولا يخفى ان خالد يوسف ابن خال خالد محى الدين رئيس حزب التجمع .

المشكلة تكمن فى ربط البعض بين سينما شاهين وهى سينما بالالف واللام وان مست بعض القضايا السياسية وسينما خالد يوسف الذى اقترب من شاهين فى اخر ايامه بطريقة تصور للبعض انه التلميذ النجيب والواحد لشاهين رغم ان معظم مخرجى السينما تلاميذ شاهين وعملوا معه بل ويصور البعض خالد بأنه امتداد لسينما العملاق رغم اختلاف كبير بينهم ولعل اكبر اختلاف من ناحية الجوهر ان سينما شاهين مقدمة للامل فى الحياة و التمتع بها وليس للدعاوى الكئيبة بفعل كآبة الواقع يوسف يصنع واقعه بالامل والحياة اما خالد فانه يخصى هذا الواقع فى رؤى اختزالية لمآلات عدمية ودموية . من هنا فان يوسف برئ من سينما المنشور السياسى من سينما اليسار التثويرية برئ من خالد يوسف

شذرة 9 ابن رشد

الافكار ليها اجنحة محدش يقدر يمنعها توصل للناس

فيلسوف انسانى جدا يغنى ويرقص ويلعب ويدلع على مراته

شذرة 10 الطابع التنبؤى لشاهين

هل كان عودة الابن الضال تتبأ بمقتل السادات ؟

هل تفجير احد الابراج فى فيلم الاخر تتبأ باحداث 11 سبتمبر ؟

هل قتل خالد صالح لنفسه واقتحام القسم تتبأ لما سيحدث فى مصر مستقبلا؟

نسينا ان نقول عن خصائص سينما شاهين :

المزاوجة بين التسجيلية والروائية

قدرة اعماله على اثاره دهشتنا

ينبئ عن حب عميق للفن والحياة

خاتمة

يعد شاهين من خلال حالته الفنية الفريدة التى تخطت حدود اعماله من حيث الكم حيث بدا شاهين كحديث ثقافى وظاهرة فكرية تتخطى حدود الفن السينمائى ، يعد كشفا فى مجال الهوية اذ يقدم هذا المخرج العالمى المصر على تأكيد مصريته الى اقصى حدود التأكيد فهو "حدوته مصريه" ، ضربا جديد ومميز فى فهم الهوية ، يخرج بها عن كونها امر ثبوتى وقطعى وورائى الى كونها امر "اختيار" و"مصير" هوية متجددة متفاعلة مع كل الاحداث والمستجدات التى تعترى الوطن فى مسيرته ، وهى هوية منفتحة على "الاخر" وعلى التعدد والاختلاف منفتحة على المستقبل ، فلأول مرة نرى حديث غير متشدد غير شوفانى غير اصولى عن الهوية التى ارتبطت دائما فى الذهن بكل ما هو اصولى وقطعى واحيانا دوجماتيقي وشوفانى .

شاهين فى حقيقة امره محسوب على الجنسية الفرنسية شئنا ام ابينا رغم تاييده المستمر على مصريته وهو رجل عالمى يتفاعل مع لغة عالمية هى لغة السينما شئنا ام ابينا ، ورغم كل ذلك تمثل اعماله نظرة تاريخية للواقع السياسى

والاجتماعى فى مصر منذ خمسينيات القرن العشرين وحتى اوائل القرن الواحد والعشرون وهو تأريخ مرتبط بذات المؤرخ الى اقصى حد حيث اعتبر نفسه ذاتا هوية ذاتية فى خلجات الوطن معبرة عنه ، وهو بذلك تخطى كون تأريخه ذاتى ليصبح اكثر التآريخات موضوعية عبر خلجات ذات صادقته ومخلصه وامينة .

عمل شاهين بالفن و كما يقول ديلوز عن سينما العالم الثالث سينما تستهض الحث الثورى لدى المواطنين وتستنطقهم مريدة منهم الفعل والفاعلية والتأثير ، عمل شاهين بالفن كان يتميز بالرسائل الموجهة فيها هو فى فيلم العصفور يستهض المصريين شعبا وحكومة لحرب استرداد الكرامة المصرية وتحرير سينا ويهمنى التاكيد على رسالة فيلمه الاخير محذرا ايانا من فقد السلطة لادوارها ومسميا التعزل النرجسى للسلطة بذاتها انتحارا وفقد لدورها فى هيه فوضى نرى السلطة عندما تصبح علاقتها بالشعب اغتصاب وتفقد كل اواصر الود وتفطر فى النرجسية فانه لابد لها من ان تتحر وانتحارها بالنسبة للشعب فوضى . ملحوظة لم يهتم شاهين بالرسائل السياسية فى افلامه الا بعد مرحلة فيلم الاختيار .

غاية القول ان شاهين اذا كان قد اصبح الان جزءا من هوية مصر التاريخية فاننا ينبغى ان نقول ان شاهين تفاعل مع الواقع المصرى رغبة فى تغييره حيث راي الهوية تعدد واختلاف وراى الوطن حضنا دافنا للجميع لم يقف عند موروث او وافد الا بعد ان تتمثله ذاته خير تمثل ويمر عبر قنطرة ذاته التى تميزت بالمصرية لاقصى حدود هو صاحب فيلم الناصر صلاح الدين الذى لم يخرج فيه الخطاب تمجيدى وقومى بل تعاطفنا مع لويزا وعيسى العوام فى قصة حب اشكالية تقف عند مواطن الهوية فى الذات وبواعثها اللاواعية ، فلم يكن الفيلم تمجيد لموروث بل دعوة للتصالح السيكولوجى مع الذات وتمثل شاهينى لتراث غلب عليه السماحة هو ايضا صاحب فيلم المصير الذى يحذر فيه من

التطرف وكبت الابداع والمبدعين عينه على انسانية فيلسوف قرطبة وعلاقته
الوطنية باليهود فى الاندلس ولا ينسى وصول كتب ابن رشد لمصر فى مغالطة
تاريخية مبررة فمصر حزن لاي ابداع وان اختلفت معه ، وهو صاحب فيلم
وداعا بونابرت الذى لم يعجب الفرنسيين ولا المصريين لانه خرج اكثر انسانية
مما نتوقع ، هو لم يرضى بموروث ولا حتى وافد امريكى على وجه الخصوص
كما فى اسكندرية نيورك الا بعد تمثل وطنى مصرى شاهينى انسانى مرتبط فيه
بتلابيب الواقع .

ازاي تكون انت

تأليف جمال بخيت

الحان فاروق الشرنوبى

توزيع يحيى الموجي

كلمات الاغنيه

ازاي تكون انت وتكون عيون غيرك

وتشوف ضلام نفسك تلمح امل غيرك

ازاي تكون البحر

وتكون شطوط غيرك

ازاي تكون غيرك عيون غيرك امل غيرك

ياااااااااااه

يا غربة العاشقين

يا غربتك يا حنين

لو نتسرق سرقة

من شمس مبتلعش

الا على الفرقة

من ارض مبتسمعش

الا اهات حرقة

اهات حرقة

الا اهاااa

الحب للاحزان

والتوهة للانسان

والياس للأوطان

ايام بدون احساس

قضبان ما بين الناس

حرية للسجان

حلم اللؤا هيفور

ولا خلاص النور

مسجون ف كان يا ما كان

انا مش وطن للخوف

ولا الضباب ع الشوف

خد ايدي يا غرقان

خد م الفؤاد حنة

تبقى الحياة انت
وانا مش هكون غيرك
غيرك
انت

-
- i حسين عبد القادر : تداخل الظلال والأبعاد بين السينمائي والمؤرخ وقفة على ضفاف يوسف شاهين ، القاهرة -يناير 1997 ، ص 213
- ii المرجع السابق
- iii - أحمد عبد الحلیم عطية : الأمة العربية إلى أين؟ أزمة الهوية والوجود ، غير منشور
اعتمدنا على بحث مؤتمر عن الهوية للدكتور احمد عبد الحلیم عطية والبحث غير منشور
- iv Uk essays.com
- ترجمة الشيماء على الدين ص 23 العدد 101 السنة الثانية الاثنین 15 يونية 2009 وزارة
لثقافة الهيئة العامة لقصور الثقافة